ثم ان كل الصور التي يظهر بها "قوام المعيشة" اي الطعام والغذاء والكساء والمأوى والوقود ترد الى صورة واحدة اصلية وهي الطعام . فثوب العامل مثلاً هو بديل الغذاء الذي تغذّاهُ حين كان يجمع النسالة ويغزلها ويحوكها . والكوخ هو بديل الطعام الذي كان يأكلهُ مدة بنائهِ . والوقود بديل الطعام الذي كان يأكلهُ حين كان يجمع ذلك الوقود من الحراج

وقبل ان يجنح الانسان الى الكساء والاواء والاستدفاء كان يستغني عن هذه بالطعام وحدهُ ولكنهُ لمَّا شعر ان الاستدفاء يحفظ قسماً كبيراً من حرارة جسمهِ فيغنيهِ عن قسم من الطعام سعى اليهِ لانهُ اسهل من السعي الى الطعام فالوقود اوفر من الغذاء . والكساء الذي يتعب في صنعهِ اسبوعاً يكفيهِ عاماً . والمأوى الذي يشغلهُ شهراً يكفيهِ عمراً . وكل هذه تقيهِ البرد وتحفظ حرارة جسمهِ وبالتالي تغنيهِ عن بعض الطعام

انتهى الكلام عن رأس المال وسيأتي الكلام عن الربا في مقالة تالية نقولا حداد

# ادراك الحيوان

من اشهر المسائل التي اشتغل علماء الفلسفة العقلية بحلها وجرّبوا التجارب الكثيرة فيها ما اذا كان للحيوان الاعجم عقل يتكر بهِ ويستنتج . وفي طليعة هؤلاء العلماء ادورد ثورندبك الاميركي وقد قصر مباحثهُ في هذا السبيل على المشاهدة والامتحان واجتنب الاطلاق والتعميم على النوع من مشاهدة احد افرادهِ وجرَّب التجارب الكثيرة ونظم وقائع كل تجربة على حدة تنظيماً حسناً حاصراً تجاربهُ في حيوانات ربَّاها فعرف تاريخ حياتها واختار القطط والكلاب والدجاج وجعل مدار بحثهِ على ثلاثة امور وهي اولاً ماذا تفعل الحيوانات اذا وضعت تحت المراقبة . وثانياً كيف تفعلهُ . وثالثاً بماذا تشعر وفي تفعلهُ

اما تجاربهُ فمنها انهُ كان يأتي باحد هذه الحيوانات ويجوّعهُ ٢٤ ساعة مثلاً ثم يضعهُ في قفص ويضع لهُ الطعام خارج القفص بحيث يراهُ وكان باب القفص يفتح ويغلق بسقاطة او زرّ او خيط او بها كلها معاً فكان لا بدَّ للحيوان من معالجتها قبل خروجهِ من قفصهِ . اما الدجاج فكان يتساهل معها فبدلاً من ان يضع الدجاجة في قفص لهُ باب يفتح ويغلق كان يضعها في مكان محصور ويقيم حولها الحواجز . على ان المبدأ في الحالين واحد اي انهُ لا بدَّ للحيوان فيهما كليهما ان يؤلف في مخيلتهِ سلسلة افكار توصل الصور التي تنطبع فيها بما يراهُ

داخل القفص بصور الحركات المتعددة التي لا بدَّ لهُ ان يأتيها حتى يستطيع النجاة من حبسهِ. والدافع لهُ على ذلك الجوع

وبعد ان يضعهُ في القفص كان يراقبهُ مراقبة دقيقة ويكتب كل ما يراهُ في مذكرتهِ ويتخذ الاحتياط اللازم ليكون الحيوان مستقلاً عن كل عامل سوى الطعام من الخارج والجوع وما يتبعهُ من خور وتعب من الداخل . وكان يقصر التجارب على الحيوانات السليمة من الامراض اما المريضة فلم يكن يجرّب فيها . فاذا لم يستطع الحيوان الخروج من قفصهِ بعد مدة محدودة كان يخرجهُ منهُ ولا يطعمهُ بل يبقيهِ جائعاً ثم يعيدهُ الى القفص بعد مدة قصيرة ويعيد التجربة فاذا نجا هذه المرة فبهِ والاَّ عدَّ التجربة خائبة . وكان ينقل الحيوان من قفص يقفل بابهُ بالسقاطة الى آخر يقفل بالحبل ثم الى آخر يقفل بواسطة أخرى ويفعل مثل ذلك بحيوانات اخرى من نوعهِ لتكون التجربة كاملة من جميع الوجوه وتكون النتيجة عامة شاملة لا خاصة قاصرة

فهذه الاختبارات وان تكن جديدة لم تعرض للحيوان قبلاً الاَّ انها ليست بعيدة جدًّا عما يجري لهُ عادة وهي تبين العلاقة بين عمل معلوم وحالة معلومة والارادة التي تنتج عن تلك العلاقة . والحركات التي يقتضيها هذا العمل انما هي حركات اعتادها الحيوان فليست التجربة غريبة عما قد يجري لهُ في حياتهِ عادةً

وقد جرّب هذه التجربة في ١٣ هرًّا تختلف اعمارها بين ٣ اشهر و ١٩ شهرًا وفي ٣ كلاب منها كلب عمرهُ ٨ اشهر وفي ١٠ دجاجات . فكانت النتيجة ان سلوك الهررة كان واحدًا في جميع التجارب ما عدا سلوك هرتين . فانها كلها كانت تضطرب اشدَّ اضطراب حينما كانت توضع في القفص فتنشب مخالبها في عوارضهِ وتعضها بانيابها وتدخل ايديها في كلّ شقّ وثقب تحاول النجاة . وكانت تبقى على هذه الحال من ثماني دقائق الى عشر وهي لا تلتفت كثيرًا الى الطعام الموضوع خارج القفص . ومن كثرة امرار مخالبها على عوارض القفص وعضها لها بانيابها كانت تمسُّ الزرَّ او الخيط الذي يفتح الباب بهما اتفاقاً فينفتح فتخرج من حبسها . فانطبع في مخيلتها من ذلك ان هناك علاقة بين فتح الباب والخروج خارجاً وما يعقب ذلك من الانبساط والسرور بسبب النجاة وسدّ الجوع . فكانت تأتي كلّ حركة تفضي الى تلك النتيجة وتجتنب كلّ حركة لا تفضي اليها وصارت اذا وضعت في القفص مرة ثانية تمسُّ الزرَّ او السقاطة او الخيط التي يقفل الباب بها فينفتح فتخرج حالاً . وكانت تستبدل انواع والحركات الغريبة التي كانت تأتيها المرة الاولى بامرار مخالبها على جوانب القفص

لان ذلك آل الى نجاتها ميتةً قبلاً . فظهر انها تستطيع تكييف حركاتها بعض التكييف للوصول الى غاية معلومة

ولزيادة الايضاح نقول ان احدى القطط قضت ١٦٠ ثانية في المرة الأولى قبلما نجت من القفص وكان الوقت الذي تقضيه ينقص كلَّ مرَّة كما يظهر من الارقام الآتية — ١٦٠ ١٣٠ ٩٠ ٦٠ ١٥ ٢٨ ٢٠ ٣٠ ٢٢ ١١ ١٥ ٢٠ ١٢ ١٤ ١٠ ٨ ٨ ٥ ١٠ ٨ ٦ ٦ ٧

وقد ظهر انهُ اذا كان فتح باب القفص بسيطاً كما لو كان يفتح بشدّ خيط او بادارة زرّ فان كل القطط كانت تنجو منهُ . واما الاقفاص التي لم تكن سهلة الفتح فان من القطط ما لم يستطع الخروج منها . وظهر من مراقبة حركاتها ان سرعة خروجها تتوقف على امثالها الوراثية واختبارها الماضي ومقدار انكبابها على عملها

اما افعال الكلاب فكانت تخالف افعال القطط . اي انهُ اذا جوّع كلب ثم وضع في قفص لم يجهد نفسهُ مثل القط للخروج منهُ بل يمرُّ مخليهِ على جوانب القفص ويعضُّ العوارض ويحاول الخروج غير خائف ولا مضطرب فاذا لم ينز به القطع عن الحركة قبل القط . واعظم ما يشغل انتباههُ الطعام الموضوع خارج القفص لا وجودهُ محبوساً فيهِ فهو يحاول الخروج لا لمجرَّد الافلات من سجنهِ بل للوصول الى طعامهِ وسدّ جوعهِ

واما افعال الدجاج فاشبهُ شيء بافعال القطط من حيث هيجانها واضطرابها في بادىء الامر ولكنها ابطأ منها ومن الكلاب في تصوُّر واقعة الحال واسعى في النجاة . ويقول صاحب هذه التجارب ان السبب في ذلك ما بينها وبين الحيوانات الأخرى من الفرق في تركيب اجسامها وغرائزها فان الدجاج احطُّ من الكلاب والقطط في تركيبها التشريحي والفسيولوجي والقطط احطُّ من الكلاب

ومما لهُ علاقة بهذا الموضوع تقليد الحيوانات لما تراهُ وتسمعهُ من الافعال والاصوات فان بعض الطيور كالببغاء وغيرها يقلد الاصوات التي يسمعها كما هو مشهور . ويقال ان رجلاً علَّم العصفور الدوري ملتاً . فان كانت الطيور تقلد الاصوات بسماعها لها فذلك من الغرابة بمكان لانهُ يدلُّ على قوة اختيار ليست للحيوان على ما هو معلوم . وليس هناك ما يدلُّ على ان الببغاء تقلد غيرها مجرَّد رؤيتها اياه . ومهما يكن من ذلك كلهِ فلا يمكن الجزم بشيء من هذا القبيل حتى نعلم اي الاصوات تقلدهُ الطيور

هذا في الطيور واما في سائر الحيوانات فقد شوهد الامر الآتي في قطيع من الخراف : وضع حاجز في سبيل الخراف التي في مقدمة القطيع فجعلت تثب فوقهُ ثم رُفع الحاجز من امام الخراف التي خلفها فجعلت كلما بلغت المكان الذي كان الحاجز موضوعاً فيهِ تثب كالخراف الاولى كأن الحاجز لا يزال حيث كان . فقالوا في تعليل ذلك ان المعروف يثب حين يرى آخر يثب لا لانهُ يستطيع فعل كلّ ما يُفعل امامهُ بل لان فيهِ غريزة تقودهُ الى الوثوب حين يرى فعل الوثب يُفعل او لانهُ اعتاد الوثوب حيث يرى غيرهُ من الخراف تثب فوق الصخور والجداول في مراعيها وعليهِ فانهُ يثب ولو لم يكن هناك حاجز يقف في سبيلهِ

وقد جرّب العالم المذكور عدة تجارب في الكلاب والقطط والدجاج ليرى ما اذا كانت تستطيع التقليد فاخفقت تجاربهُ خلافاً لغيرهِ ممن جرّب قبلهُ فافلح وثبت لهُ انها قادرة على تقليد غيرها

على ان مجمل ما يتحصل من هذه الابحاث ان الحيوان فاقد قوة البداهة وقوتي المقابلة وادراك المشابهات وقوة تذكّر الماضي بمعنى انهُ لا يستطيع تذكر الحالات العقليّة الماضية حين يشاء لمقابلتها بالحالات العقليّة الحاضرة . على ان كثيرين من العلماء يذهبون الى ان الفرق بين ادراك الانسان وادراك سائر الحيوان انما هو في تعدُّد الصور التي تنطبع في الذهن قبل الادراك اي ان تصور الحيوانات العليا مثل تصوُّر الانسان في كيفيتهِ وان يكن دونهُ في كميتهِ . وان المميز للانسان على سائر الحيوان انما هو قوة البداهة او تحليل الاشياء وعلاماتها النطق . ولكن بين الناس قبائل معروفة بضعف البداهة ومع ذلك فان قوة ادراكها عظيمة فهي بهذا تقرب من الحيوانات العليا كأنها نشأت منها رأساً

ولكن هذا المذهب لا يمكن قبولهُ لان تصوُّر الانسان مركب من الاستدلال والحكم والمقابلة . اما الحيوان فان وجدانهُ لا يحتوي على سلسلة التصورات التي يحدثها في ذهنهِ . فهو يعيش في الحاضر لا يستطيع ان يُحضر الماضي في تخيلهِ ولا ان ينظر الى المستقبل . وكل ما فيهِ انما هو وجدان ضعيف مختلط الاجزاء غير متصل يستدعيهِ عمل ما يريد ان يعملهُ في الحال . وذلك بخلاف الانسان فان اجزاء تصورهِ ليست متوقفة على البواعث التي تبعث على ظهورها بل مستقلة عنها . وبما لهُ من قوى الذاكرة والاستدلال والتعميم وغيرها من القوى المختصة بهِ دون غيرهِ يضم التصورات الماضية الى التصورات الحاضرة قصد الوصول الى عمل يعملهُ في المستقبل